



كن رحمانياً

خطب الجمعة

2019-04-12

عمان

مسجد زياد العساف

الخطبة الأولى :

يا ربنا لك الحمد ولاء السماوات والأرض، ولاء ما بينهما، ولاء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد عباد الله اتقوا الله فيما أمر، وانتهوا عما عنه نهى وزجر، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ.

الرحمة :

أيها الأخوة الكرام؛ حديثنا اليوم عن كلمة تطرب لها النفوس السليمة، عن كلمة يحبها أصحاب العقول الراجحة، عن كلمة هي في الأصل يجب أن تكون في ضمير كل إنسان، إنها الرحمة.



الرحمة لا يعرفها إلا الراحمون
أيها الكرام؛ الرحمة لا يعرفها إلا الراحمون، ولكن من قست فلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة لا يعرفون إلى الرحمة سبيلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

(سورة البقرة: الآية 74)

الله تعالى واجب الوجود، الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير، الله تعالى الذي أُمِرْنَا بيده، وحياتنا بيده، وموتنا بيده، وصحتنا بيده، وغنانا بيده، ومرضنا بيده، وفقرنا بيده، هو جلّ جلاله قد كتب على نفسه الرحمة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

(سورة الأنعام: الآية 54)

كيف يشعر المؤمن وهو يقرأ هذه الآية الكريمة؟ لأن خالقه وربّه الغني عنه قد جعل الرحمة كتاباً مفروضاً على ذاته العليّة، وعبر في هذا التعبير (كَتَبَ رَبُّكُمْ) تماشياً مع طبيعة الإنسان المادية، فإذا كنت مع شخص في تجارة، وأردت أن تقتصر أو تُقرض تقول: اكتب لي، لأن الكتابة توثيق فأنت تحب الكتابة لتوثيق أمورك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

(سورة البقرة: الآية 282)

ثم يأتي ربنا جل جلاله فيقول له: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) اطمنن فرحمته تعالى مكتوبه مفروضة، هي مبدأ لا يمكن الحياد عنه، وفي الصحيح كما يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ }

(صحيح البخاري)

كتب كتاباً ماذا بهذا الكتاب؟ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش فتخيل ودقق بخالك العنان عرش الرحمن بجلاله وعظيم قدره ما الذي كُتِبَ فوقه؟ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي.

المؤمن أيها الكرام: عندما يستشعر معاني رحمة الله تعالى، وأن الله كتب على نفسه الرحمة، وأن رحمته تعالى سبقت غضبه، فإنه يمشي في الأرض رحيماً، يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء، يتعامل مع الناس على أساس الرحمة لا على أساس القسوة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ

(سورة الأعراف: الآية 56)

رحمة الله واسعة تشمل كل شيء :

أيها الكرام؛ يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

(سورة الأعراف: الآية 156)



رحمة الله وسعت كل شيء

وأنا وأنت شيء، نحن أشياء في ملك الله، لأن (شيء) هي أعم كلمة في اللغة العربية، تطلق على كل شيء، وأنا و أنت شيء، ورحمة الله وسعت كل شيء، فأنت أيها الأخ الكريم عندما أقول لك مثلاً: هذه القاعة تتسع لألف إنسان، كل الناس الموجودين خارج القاعة يمكنهم أن يدخلوا، فهذه القاعة وسعت كل الناس، لكن الذي يأتي أن يدخل قد أبي أن يأخذ موقعه في القاعة، وعندما نقول: إن رحمة الله وسعت كل شيء، فإنها لا تفوت إلا إنساناً أبي أن يتعرض إلى رحمة الله، رفض أن يدخل إلى رحمة الله، أما هي فواسعة لكل شيء، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ).

النبي الكريم رحمة للوجود كله :

أيها الأخوة الكرام؛ نبينا نبي الرحمة، قال تعالى مُلْحِظاً بعثته ورسالته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

(سورة الأنبياء: الآية 107)

لم يقل رحمة للمؤمنين، ولا رحمة للمسلمين، ولا رحمة للناس، بل قال: (رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) أي للعوالم كلها من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان إلى كل شيء في الوجود، فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هدف بعثته فقال:

{ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَاةٌ }

(رواه الألباني)



لا ينبغي أن نهزم من الداخل

أهدى الله تعالى العالمين النبي صلى الله عليه وسلم رحمةً للوجود كله، قد يقول قائل: ولماذا الحديث عن الرحمة ونحن نعيش في عالم قد امتلأ بآثار الحروب وقد امتلأ بالفسوة والفظاظة والغبط؟ لماذا الحديث عن الرحمة ونحن لا نجد رحمةً في قلوب الأقوياء ولا رحمةً في قلوب الكثير من الأغنياء؟ لماذا الحديث عن الرحمة والضعفاء في الأرض يسامون سوء العذاب؟ أين الرحمة؟ أقول لمن يسأل: الحديث عن الرحمة لأننا نعيش في هذا العالم المليء بالقسوة، لأن الرحمة عندما تموت في قلوب المؤمنين انتهى كل شيء، نحن نتحدث عن الرحمة لأننا نوقن أن الرحمة من الحق، والله تعالى مع الحق، ومهما انتشرت الحروب، وامتلاً الكون بالقسوة، فإن إنساناً رحيماً يسع العالم كله بقلبه الرحيم هذا محمدٌ صلى الله عليه وسلم جاء إلى عالم قد امتلأ بالفظاظة والغبط، إلى بعض القبائل التي كانت تند بناتها وهي حية تحت التراب، إلى حروبٍ تنش من أجل ناقةٍ من النوق قُتلت، داحس والغبراء وحرب البسوس، حروب تدوم أربعين سنة من أجل ناقة، جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا العالم، وتحدث عن الرحمة، فملأ الوجود رحمةً، لا ينبغي أيها الأخوة أن نهزم من الداخل، لا ينبغي لفسوة القساة أن تنسينا رحمة الرحماء، لا ينبغي لفسوة القساة أن تنزع الرحمة من قلوبنا، لأن الله تعالى أرحم الراحمين، ولأنه كتب على نفسه الرحمة، فإن كنا رحماء فنحن مع الرحمن الرحيم جل جلاله.

من اتصل بالله كان رحيماً :

أيها الكرام؛

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيْتَ لَهُمْ

(سورة آل عمران: الآية 159)

أي بسبب رحمة، فيما: هذه باء السبب، أي بسبب رحمة من الله تعالى استقرت في قلبك يا محمد صلى الله عليه وسلم، بسبب اتصالك بالله، لأن الرحيم هو من يعطي الرحمة، لو امتلأ القلب قسوةً لانقص الناس عنك، هذا المبدأ أيها الكرام نحتاجه جميعاً، المربي في بيته يحتاجه، نقول للأب برحمة من الله، بحسن اتصالك بالله يحبك أهل بيتك، أما القاسي فنقول له: بابتعادك عن الله يمتلئ القلب قسوةً فيذهب الناس عنك، المعلم في صفه، الموظف في دائرته، تجد الناس يحبون إن كان رحيماً، و ينفضون من حوله إن كان قاسياً فظاً.

رحمة العامة :

أيها الأخوة الكرام؛ الرحمة المطلوبة شرعاً هي رحمة العامة، فالذي يرحم ولده شرعاً لا يسمى رحيماً، يسمى رحيماً بولده، أما أن نسميه رحيماً فينبغي أن يكون رحيماً بالعامه.

{ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: لن تؤمنوا حتى تراحموا، حتى يرحم بعضكم بعضاً، قالوا: يا رسول الله كلنا

رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة }

(رواه الألباني)



الرحمة المطلوبة هي رحمة العامة

أن ترحم صاحبك وتحميه هذه فطرة لا تحتاج إلى جهد لأنك تحبه ترحمه، ترحم ولدك، ترحم زوجتك، ترحم صديقك الذي تحبه، لكن أن ترحم العامة فهذه هي الرحمة المطلوبة شرعاً، هذا المبدأ أيها الكرام الذي يقوله صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمئة سنة، إنها رحمة العامة اليوم ليست الرحمة أن ترحم شعبك ومواطنيك، ولكنها رحمة شعوب الأرض كلها، اليوم دول الاستكبار التي تدعي الرحمة، وتدعي حقوق الإنسان، وتدعي أنها رحمة بالخلق، هي في الحقيقة ترحم مواطنيها من أجل استمرارها، لكنها تلقي أشد أنواع الأسلحة فتكاً على شعوب الأرض الآخرين، هل هؤلاء رحماء؟ ولكنها رحمة العامة هكذا يقول صلى الله عليه وسلم، إن لم تكن الرحمة عندك منهجاً ترحم به كل إنسان مهما يكن حتى لو لم يكن مسلماً إنها رحمة العامة ما قال: إنها رحمة المسلمين فقط.

إذاً أيها الأخوة الكرام؛ المؤمن رحيمٌ بكلِّ الناس، اليوم قد يقال لإنسان مُمدح: إنه إنساني، سامجوني أيها الكرام لكن النسبة إلى الإنسان اليوم لا أجدها مدحاً، ما المدح بأن يكون الإنسان إنسانياً وأن يكون النبات نباتياً؟ أين البديع في أن نقول: فلان إنساني؟ الإنسان في القرآن الكريم لم يرد ممدوحاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

(سورة المعارج: الآية 19)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

(سورة الأنبياء: الآية 37)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغُ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى

(سورة العلق: الآية 6-7)



الإنسان من غير إيمان أسوأ من الوحوش

فالإنسان من غير إيمان أسوأ من الوحوش هذا ما نراه بأمر أعيننا اليوم، فأين الإنسانية إذا؟! قل: أنا إيماني، أنا رحماني، أنتسب إلى الرحمة، أنتسب إلى الإيمان، أما النسبة إلى الإنسان فلا أرى فيها شيئاً ممدوحاً أبداً، أن يكون الإنسان إنسانياً، والإنسان قبل أن يعرف الله يطغى في الأرض (كلاً إنَّ الإنسانَ ليطغى أن رآه استغنى) عندما يجد نفسه مستغنياً عن الله يبقى في الأرض.

رحمة الضعفاء :

أيها الأخوة الكرام؛ ومن الرحمة رحمة الضعفاء، أن ترحم الضعيف، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ أَنَعُونِي ضَعْفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِثْمًا تُرْزِقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ }

(رواه الإمام أحمد)



إِثْمًا تُرْزِقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ

لماذا؟ في مجتمعنا هناك ضعيف وهناك قوي، هناك فقير وهناك غني، هناك جاهل وهناك متعلم، وهكذا، عندما يقوم القوي برعاية الضعيف فيقطع، ويؤويه، ويؤمن له مستلزماته، ويقدم له ولو كلمة حامية رحمة به، يكافئه الله تعالى بمكافأة من جنس العمل فينصره على من هو أقوى منه هذه الزاوية الأولى. الثانية: المجتمع الذي لا يرحم فيه الضعفاء هو مجتمع مهزوز من الداخل، جبهته الداخلية محطمة، فلا يمكن أن يصمت، لأن الضعيف لا يجد قوت يومه، ولأن الضعيف لا يجد من يحن عليه، فيتفكك المجتمع فتحل الهزيمة به، إِثْمًا تُرْزِقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ، في الصحيح أيها الأحباب كما في سنن ابن ماجه:

{ أن مهاجرين الحبشة، الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة عادوا من الحبشة، بعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجلس بين أصحابه يوماً قال: حدثوني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة- شيء عجيب رأيتموه في الحبشة- فقام رجل قال: يا رسول الله بينما كنا جلوس في مجلس في الحبشة جاءت امرأة من عجائزهم، امرأة كبيرة في السن، تحمل قلعة على رأسها- جرة ماء- فوضعت كفة بين كتفيها على ظهرها، و دفعها فسقطت على ركبتيها وانكسرت قلعتها- قلة الماء- فالتفتت إليه المرأة وقالت: سوف تعلم يا

عُذِرَ - أَي يَا غَادِرَ غَدْرَتِي - إِذَا وَصَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَ بِالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فسوف تعلم أين أنا و أنت عنده غداً، الموقف عند الله غداً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صَدَقْتُ صَدَقْتُ، كيف يَفْدَسُ اللهُ أُمَّةً لا يُوْخَذُ لضعيفها من شديدها؟ {

(رواه ابن ماجه وحسنه الألباني)

هذه نصرة الضعيف هذه الرحمة بالضعيف. النبي صلى الله عليه وسلم أيها الكرام؛

{ يأتي فيسأل عن امرأة، أين هي؟ قالوا: توفيت يا رسول الله، كانت تقم المسجد - تنظف المسجد- أين هي؟ قالوا: توفيت، قال: ألا أدنتموني- لم لم تخبروني؟- قالوا: لكيلا نوقظك يا رسول الله- امرأة توفيت فصلينا عليها و دفناها- غضب النبي صلى الله عليه وسلم وذهب إلى قبرها- استثناءً من الحكم العام فالصلاة تكون قبل الدفن لا بعده- وصلى عليها {

(صحيح مسلم)

لئشعر العالم كله بأن رحمة الضعيف خيرٌ من الدنيا وما فيها.

أفقر إنسان هو من يقف بين يدي الله يحتاج حسنة ترفع مرتبته عنده سبحانه :
أيها الأخوة الكرام؛ ويقول صلى الله عليه وسلم في الصحيح:

{ مَنْ وُلِيَ مِنْ أَفْرِ النَّاسِ شَيْئًا - شَيْئًا نَكْرَةً، لو ولى المؤمن من أمر الناس رجلين، ولو ولى أمر بلدٍ بكامله كله يشمله الحديث- ثُمَّ أَعْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمُسْكِينِ وَالْمَظْلُومِ، وَ ذِي الْحَاجَةِ، أَعْلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ دُونَ حَاجَتِهِ، وَفَقْرِهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ {

(رواه الإمام أحمد والطبراني)



الفقر بعد العرض على الله

متى يكون الإنسان أفقر ما يكون؟ وهو واقف بين يدي الله يوم القيامة، هذه أفقر حالة يمكن أن يمر بها الإنسان على الإطلاق، الآن تجد فقراء في الشارع، تجد فقراء في الأحياء، تقول: والله فقير أفقر مما يكون، الفقر بعد العرض على الله، هذا الذي تراه في الدنيا ليس فقراً إذا فورن بالفقر بعد العرض على الله، يقول علي رضي الله عنه: "الغنى والفقر بعد العرض على الله"، فأفقر ما يكون الإنسان وهو يقف بين يدي الله وهو محتاج إلى حسنة ترفع مرتبته عند الله، قال: أَعْلَقَ اللهُ بَابَهُ دُونَ حَاجَتِهِ، وَفَقْرَهُ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ، إن أعلق بابه اليوم في الدنيا دون حاجة الناس هذه رحمة الإسلام أيها الأحياء، هذه الرحمة التي أمرنا بها رحمة العامة، رحمة الضعفاء، رحمة كل شيء، فالله تعالى يكتب رحمته لمن أراد أن يدخل في رحمته:

{ كُلُّ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: وَمَنْ يَأْتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }

(رواه البخاري)

رحمة الله في كل مكان :



المسجد الأقصى مسجد الرحمة

الرحمة أيها الكرام؛ ختاماً ذكرتني الرحمة باب الرحمة في المسجد الأقصى المبارك، المسجد الأقصى مسجد الرحمة و الرحمة تنزل فيه الخيرات، كيف لا وقد بارك الله حوله، فكيف البركة به وفيه هذا الباب الذي سمي باب الرحمة؟ لأنه رحمة من الله تعالى، ولأن المسجد الأقصى مسجد الرحمة، أما من يحاولون منع الناس من دخوله، ويحاولون إغلاقه، لهم من الله ما يستحقون، فهم لن يدوقوا رحمة الله، فرحمة الله في كل مكان، والأقصى لأهله، والأقصى لدينه، ولكن حينما نعود إلى ربنا، ونعقد معه صلحاً حقيقياً، فهو القادر جل جلاله على قلب الموازين في ثانية واحدة.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ووزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلتنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان، أستغفر الله.

الدعاء :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَتَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ يَا مولانا سميع قريب مجيب للدعوات، اللهم برحمتك أعمنا، واكفنا اللهم شر ما أهدانا وأعمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا، نلناك وأنت راضي عنا، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما استعاذك عبدك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم أطعم جائعهم، واكس عريانهم، وارحم مصابهم، وفرح عنهم يا أرحم الراحمين، اللهم انصر إخواننا المرابطين في المسجد الأقصى على أعدائهم وأعدائهم يا رب العالمين، انصر إخواننا في كل مكان يكتب فيه اسمك على أعدائك يا أكرم الأكرمين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، ووفق اللهم ملك البلاد لما فيه خير البلاد والعباد، أقم الصلاة، وقوموا إلى صلاتكم برحمتكم الله.